

أَزْمَاءُ

مجموعة قصصية

أَزْمَاءُ

مُنْتَظَرُ عَبْدِ الرَّحِيمِ





اسم الكتاب : أرّماء

اسم المؤلف : مُنتظر عبد الرّحيم

Book name: Armaa

Author name: Muntazer Abdel Rahim

مصمم الغلاف والمتن : جمال الخفاجي

الطبعة الاولى : ٢٠٢٣

جميع الحقوق محفوظة للدار والمؤلف ، حسب قوانين الملكية الفكرية لعام ١٩٨٨ .

ولايجوز نسخ او طباعة او اجتزاء او اعادة نشر اية معلومات او صور من هذا الكتاب الا باذن خطي من كلا الطرفين .

All rights reserved to the house and the author, according to the intellectual property laws of 1988.

It is not permissible to copy, print, cut or re-publish any information or pictures from this book without written permission from both parties.

مِثْلُ تِلْكَ الْقَطْرَاتِ الثَّقِيلَةِ الْمَتَساقِطَةِ مِنَ الْغُيُومِ ، ثَمَّةَ أُمُورٍ يَنْبَغِي
إِسْتِقْبَالَهَا بِنَفْسِ الْغَزَارَةِ

القصر

إنتابني شعور بالرؤية فور دخولي القصر وعبور
بواباته الخارجية الضخمة. كنتُ أتساءل ما الذي
انشدهُ من هذا المكان وما الذي ينتظرنني فيه .
باستحكامٍ فتحتُ باب القصر الخشبي الكبير
وشرعتُ بالدخول. لم يكن يبدو كما في الخارج
فداخله مهمل تَرِب ، وبالرغم من ذلك فقد طغى
سحر المكان على إهماله فجعلني أنجذب إليه
وأندفع للداخل بخطواتٍ واثقة. شعرتُ لوهلة أنها
لم تكن المرة الأولى لي هنا فقد بدا المكان مألوفاً.

عند الممر فزعتُ لسماع خطوات أقدام خلفي
فالتفتُ مسرعاً الى الخلف حتى أوشكت رقبتي أن
تنكسر

رأيت رجلاً كهلاً بهندام أنيق ومرتب يتقدم نحوي
 بخطوات ذات إيقاعٍ مُنظَّم حياني دونما ابتسامه
ودعاني الى الجلوس وقال لي

— أن الأستاذ سيكون معك في غضون دقائق لكن لا تُطيل فهو متعب حضر أوراقتك وما تود أن تسالهُ من الآن.

بإيماءة واففته على كل ما قالة فأنصرف مسرعاً .
بدا أنه مشغول رغم هدوء وخلاء المكان.

كنتُ أجلسُ على أريكة خشبية وأمامي طاولة كبيرة يعلنوني سلّم ضخم ملتف ينتهي الى أعتاب الطابق الثاني.

على الرغم من الغموض والريبة التي إعتلتني الا أن الزهو كان يملؤني لأنني أجلسُ في مكاناً فخماً كهذا . لطالما أحببتُ المباني القديمة فهي الشيء الوحيد الذي يخبرني بأن الإنسان يمكن أن يُخلد فيتركُ جزءاً منه في الحياة حتى بعد مفارقتهِ لها.
لم تطل فترة انتظاري فسرعان ما سمعت خطوات أقدام تنزل السلّم . كان رجلاً نحيفاً يرتدي بدلة داكنة وقميص أغلق كل أزراره ونظارات داكنة لم تسمح لي برؤية عينيه ويحمل في يده كتاب ضمه الى صدره.

وقفت بحركة لا إرادية وحملت الأوراق بيديّ المرتجفتين وتقدمت نحوه فستقبلني بوجه بشوش وابتسامة أبوية دافئة صافحني وبصوت جهوري قال

_ أهلاً بك أيها الشاب تفضل بالجلوس رجاءاً

جلستُ فجلس بجواري وقال بابتسامة

_ أرني ما كتبت اليوم

تناول الأوراق من يدي وبعناية قربهم الى وجهه وانغرق بقراءتهم وتفحصهم ..

لم أدرك ما يدور هنا من هذا الرجل الذي أجلسُ بجواره ولما أنا مُبتهج هكذا هل فعلاً أنا من كتبت ما في هذه الأوراق ..؟!!

من ذا عساه سيصدقني لو أخبرته بما حدث وبمن قابلت في هذا القصر.

بعد أن فرغ من قراءتهم وضعهم بعناية على الطاولة وبهدوء وابتسامة خجولة قال :

_ أكتب ما تريده لا ما يريده الناس ، اذا أردت أن تكون كاتباً فيجب أن تكون أكثر شجاعة من هذا .

أكتب يا بني ما تشعر به وستجد أنك تكتب الحقيقة.

لم يكن يعنيني كثيراً ما قاله فلم تكن تلك الكلمات ما أبحثُ عنه ، وافقتهُ على جميع نصائحه بإيماءة ولم أزد على كلامه حرفاً واحداً .

فاردف

_والآن هل تريد أن تسألني عن شيءٍ آخر ؟

بابتسامة تهكمية أجبتهُ

-أنه الوقت المناسب لطرح الأسئلة ، فقد كان يوماً مليئاً بالغرابة وأنت أخبرتني لتوَّك أنه يجب عليّ أن أقول كل ما أشعرُ به.

_بالتأكيد ، تفضل قل ما عندك

-أنا في الواقع لا أعلم من الذي جاء بي الى هنا ، ولماذا دخلت الى هذا القصر ، لا أعرف ما يجري هنا وهل أنا فعلاً من كتب هذا الكلام ..؟ لكن دعك من هذه الأسئلة وأجبنى على السؤال الأهم

من أنتَ ؟؟

بنوع من الابتسامه والرزانة والدقة في التعبير قال
لي

_أنا الشخص الذي هبط من السلم الكبير هذا
ليقابلك ويقيم كتاباتك.

بتهمك قلت له

-ولكن بالطبع لن تكون هذا الشخص مع زوجتك
او أصدقائك او والديك ..

_بالتأكيد

سكت لثواني ظناً مني بأنه سيكمل كلامه لكنه
أكتفى بهذه الكلمة فقط ، فأردفت

-أيعني أن الآخرون هم من يحددون من نكون ،
فَنُكُون صورة لأنفسنا بما يراه الناس من قبلنا .؟

_ ممكن ، لكن تعلم يا بني أن كل استنتاج قابل
للنقاش والتغيير ، لا يوجد مطلقات كل المعارف
نسبية .

أعدل جلسته وأضاف

_ انظر يا بني أنت تائه وتبحث عن الحقيقة وهذا شيء جيد....

فقاطعت كلامه بسؤال

-هل نحن في حلم؟ هل هذا المكان حقيقي؟

أطرق رأسه وسكت لبضع ثواني ثم نظر الي وقال

_كيف تفرّق بين الحلم والحقيقة؟؟

-في الحقيقة أنت تشعر بكل ما حولك واظن أن في الحلم لا

ثم سكت قليلاً لتدقيق ما قلته فأضفت او ربما يقبل هذا الاستنتاج النقاش.

_ لكن دعنا نأخذُ باستنتاجك فكيف تعرف أنك كنت في حلم..؟

-بالتأكيد عندما أستيقظ

_وطالما أنت في الحلم فأنت تتعاطى وتتفاعل مع مَنْ هناك

-بالتأكيد هذا صحيح

_ إذاً فلا ضير أن كان حتماً ام لا ، و عليك أن تنتظر لتستيقظ فتعرف الحقيقة .

-ربما كان هناك شخص أوجدنا هنا ورتب كل هذا .. لكن لماذا، ما الغاية من هذا الفعل ؟

_ كل شيءٍ له غاية فإذا سألتك عن هذا الطاولة من أين جاءت ربما لن يكون لديك الجواب الدقيق ، معمل نجارة ، محل بسيط ، محلية الصنع او مستوردة. لكن ستكون متيقناً أن من صنعها نجار، فوجدت هنا ولولاها لما وجدنا مكان نضع عليه أوراقك وكتابي.

-يبدو هذا الجواب وافٍ يا أستاذ ، ولكن هل أنا من اخترت المجيء هنا بإرادتي ...؟؟

_ ماذا تعتقد أنت ؟

-أشعر أنه لم تكن هناك مفاضلة بين اختيارين.

_ لكنك من دخلت وجلست وتحدثت معي ، لا من رتب هذه المقابلة وتذكر أنه مجرد نقاش واستنتاج انا لا أُملي عليك حقائق .

أردفت بتهيدة

-مع كل سؤال يزداد الوضع غرابةً ويزداد مقدار
شكي

_ بالتأكيد يا بني ، فعند التساؤلات يصبحُ البديهي
مُبهماً

هذه ضريبة الوصول الى حقيقة تساؤلاتك .

نظر الى الساعة في معصم يده وقال بصوت
هادئ

_ لقد حان موعد نومي ، كان من دواعي سروري
مقابلتك .

نهض وأغلق زر سترته وصافحني بابتسامة ثم
سار الى السلم بخطوات واثقة .

وسرعان ما توارى مثلما تتوارى الغيوم في يومٍ
مُشمس

مُحكّم القيود

اليوم الأول دائماً ما يكونُ صعباً ، هذه العبارة التي ترددت الى مسامعي كثيراً في السابق لكني لم أشعرُ بحاجتها كما الآن . فالسجنُ الذي سأدخله ليس بسجنٍ تقليدي بل هو "مُحكّم القيود" صعب التخلص منه هكذا يحكى عنه وهكذا بدا لي من بعيد فقد كان المكان الوحيد في أرضٍ رملية ممتدة على مد البصر.

على أعتاب بوابات السجن صدحت أصوات صافرات الإنذار وعلت إضاءات السجن متجهة صوبي ومعانة عن قدوم زائرها الجديد. تملّكتني أفكارٍ عديدة لم يكن باستطاعتي ترتيبها فوجدتُ نفسي مستسلماً لما يجري ، ولما لا فلستُ الوحيد الذي سأرتاد هذا المكان ولن أكون الأخير.

عند بوابة الاستقبال سلمتُ كل ما يخصني من معدات ووثائق تثبت هويتي فساقتني السجن الى ممرٍ طويل مكبل اليدين . وعلى طول الممر كنتُ أسترق النظر على الزنزانات التي نمر بها فأزداد استغراباً كلما نظرت الى بوابة فأجدُ سجناء يعدون

تجارباً وآخرين يدرّسون مجموعة من الأطفال
وآخرين يكتبون بهدوءٍ تام كانوا أشبه بأحرار الا
إن شيءٍ واحدٍ كان ينقصهم ليكونوا كذلك فعلاً.

وعند وصولي الى بوابة زنزانتني فتح السجنان
الملثم باب الزنزانة وأزال قيود يدي وأشار لي
بالدخول ، فأحكم بعد دخولي غلق الباب وتواري .

استغرقت برهة من الزمن أتفحص زنزانتني
وبنظرة خاطفة رأيت شخصاً في الزنزانة التي
أمامي يطالعني باهتمام ، لم أر ملامح وجهه فقد
خيم الظلام على الممر ولكني استطعتُ تمييز سنه
فقد بدا عجوزاً في أواخر الستين نظرت إليه
مباشرةً وبادلته ما كان يفعل وسرعان ما قام
واستلقى على سريره.

استسلمت للنعاس فاستلقيت بدوري على السرير
وسرعان ما غرقت بنوم عميق.

في الصباح استيقظتُ على صوت صافرات التنبيه
ففتحت الزنزانات توالياً خرج الجميع وبطابور من
السجناء الذي لا يشبه أحدنا الآخر تحركنا باتجاه

واحد صوب مكانٍ فسيح فاستطعت أن أفهم أننا على وشكٍ مقابلة مأمور السجن.

وما أن وصلنا واصطففنا بتنظيم حتى خرج من الباب أمامنا رجل قصير القامة بوجه منزعج و شاربٍ خشن محاط بأشخاص ملثمين ، وما أن وصل الينا حتى حدجنا باكتراث فقال بعد برهة

-أنتم هنا في سجنٍ فريدٍ من نوعه ، كل شيء سيغير بعد الآن ، ولن يستطيع أحد الهرب من هنا فعلى الرغم من أن طرق الهروب تبدوا وافرة وعديدة الا أن السجن هنا

"مُحكَم القيود " فتوجد خلف هذه القضبان الحديدية قضبان أشدُّ وأقوى مما تظنون.

قال عباراته تلك بشدة وحزم وبنبرة عالية ناشراً بها الرعب بين جموع السجناء.

على الرغم من ثبات رأسه كانت عيناه تنظر الى كل شيء حولها تفحصنا بنظرات أخيرة وتحرك مسرعاً الى حيث الغرفة التي أتى منها فتبعه مرافقيه

وتحركنا بطابور ثابت كما كنا الى وجهتنا القادمة

عند ذلك همس لي شخص

_ اليوم الأول دائماً ما يكون صعباً ، لكنك ستعود

نظرت خلفي فاذا به عجوز قارب الثمانين مرتب
الشعر ملون العينين يستقبل وجهي بابتسامة غير
مريحة فقلت له على مضض

-فعلاً ، أنا فقط لم أعود على نظام السجن بعد.

_ أتفهم ذلك منذُ مجيئك وأنا أراك تراقبُ كل
شيء حولك

-أنتَ الذي كنت تنظر صوبي البارحة ..؟

_ نعم أستمتع برؤية النزلاء الجُدد ، يذكرني هذا
بأول يومٍ لي هنا كنتُ مثلك تماماً لا أعلم ما
سيؤول إليه المصير . ولكن أتعلم منذُ أن عرفت
ما يجب عليّ فعله وانا أرى أن نظام السجن هو
ضالتي

-ضالتك ...!؟

_ نعم فقد جعلني أرى قيمة نفسي .

-الم تحاول الهرب من هنا ؟

_في البداية كنت أستثقل أوقاتي هنا وأشتاقُ
لأيامي قبل السجن ، فكرت بالهرب مراراً
وسنحت لي فرص عديدة لكنني أرى نفسي هنا .

-إذا كان كل السجناء يرون أنفسهم هنا وينتمون
الى المكان بإرادتهم فأنا لا أنتمي الى هنا وسأشرع
بالهرب .

_أن الهرب يبدو سهلاً لكن صدقني هو أصعب
مما تتوقع.

قالها بابتسامة مخيفة وأنحرف عن الطابور فتبعتهُ
بحماس.

لم أكن قد عرفت أسمه وبفضول مصطنع قلت لهُ

-لم أعرف أسمك ..؟

فأجاب وهو ينظر الى الأمام ويخطو خطوات
سريعة

أَرَمَاءَ

_ ليس مهماً ، هنا يُعرف كل شخص بمهنته التي يجيدها

ثم نظر الي وقال

_ ما هو عملك قبل المجيء هنا
-معلم

_ ممتاز. سيكون مهامك هنا تدريس الأطفال.

-أطفال ! ، لقد رأيت بعضهم وساورني الفضول
لأعرف لماذا هم هنا

_ راق لبعض السجناء النظام هنا فأشركوا أطفالهم
به ليكونوا جزءاً منه في المستقبل.

-وماذا سألهمم القراءة والكتابة ؟

_ هذه علوم سطحية يستطيع أيُّ معلم تعليمها.

-إذاً ماذا سألهمم ؟

_ النظام ، نظامنا الفريد من نوعه ، يقول المأمور
إن نظامنا سيكون قريباً هو النظام المُتَّبَع في كل
العالم .

-وكيف أعلمهمم شيء لم أعلم عنه الكثير

_ سنملي عليك ما تقول لا تقلق ، لكن دعني أريك
بعضاً من تجاربنا

مررنا بباب كبير يعتليه نافذة زجاجية فوقنا ننظر
من خلالها رأيت مكان مهول بالأجهزة والمعدات
وأشخاص يعملون بنظام ودقة لم أعهدهما من قبل
، فقال بتفاخر:

_ العلماء هنا على أعلى مستوى ، هنا يصنعون
الدواء والأمراض على حد سواء.

استمرّ بالمشي فمررنا على باب لم يختلف عن
سابقه كثيراً فقال هنا المكان المخصص لإعادة
تدوير السجناء ، المأمور يرى أن ما من أحدٍ هنا
بدون فائدة حتى وأن لم يكن مميزاً في شيء ما
سيُستفاد من أعضائه ويرمى المتبقي منه.

لم أستوعب ما قاله فنظرت من النافذة . رأيت
أشلاءً تحمل وأخرى ترمى ، بقايا إنسان معلق من
يدٍ واحدة ككباش نزع عنه الصوف كان أشبه
بمصنعاً للموت .

أحمر وجهي غضباً وتسارع نبضي حتى كاد يهشم
صدري فصرخت في وجهه :

-أنهم بشر مثلنا جميعاً أيها الوغد الذليل ، لماذا يسكتُ السجناء هنا على مثل هذه الانتهاكات .

فشددت قبضة يدي بقوة وشرعتُ بضربه والهرب مسرعاً الا أن ضربة لم أحدد مصدرها أفقدتني توازني فهويت مغشياً على الأرض.

استيقظتُ في ليلة مغبرة ساكنة أشبه بليتي الأولى نظرت مباشرةً على الزنزانة التي أمامي فرأيتُهُ جالساً كعادته يحدج بي وينتظر أستيقاظي وحالما وقفت حتى قال

_ أيها الابله أنه نظام محكم لن يستطيع فأر مثلك أن يقف في وجهه

دنوت الى باب الزنزانة بسرعة وأجبتَه بغضب

لم يجعله كذلك سوى الأوغاد الاذلاء على شاكلتك ، فأنت سجين تدافع عن نظام يقيد حریتك ويستنزفك ويجعل منك فأر تجارب ، ويقتلك اذا قلت له غير ما يريد سماعه

أرّماء

_ أسمع لقد مر الكثير من الأشخاص على هذه الزنزانات وأرادوا إعاقاة تقدم هذا النظام لكنهم سكتوا للأبد .

-وهناك أنظمة سكتت للأبد ايضاً

ضحك باستهزاء وقال :

_ واذا قمت بذلك ماذا ستجني ؟ ستكون بطلاً قومياً لمن؟

السجناء يرغبون ذلك بمحض إرادتهم لم يجبرهم أحد ، هم اختاروا البقاء رغم إتاحة الفرص للخروج من هنا.

-أنتم من تزرعون هذه الأفكار فيهم ، هم لا يعرفون أن هناك حياة خلف هذه القضبان ، ولو عرفوا ذلك لما اختاروا أن يقتلوا وتؤخذ أعضاءهم.

_ وما نفع شخص لا يقوى على فعل شيء ولم يخدم النظام حتى الحيوان له فائدة تُجنى منه .

قالها وارتمى على السرير بلا مبالاة

أتممت الليل أفكر فلم أقدر على النوم ، وعند الصباح لم يُفتح باب زنزانتني كما الزنزانات الأخرى. وما هي الى دقائق حتى ترمى الى مسمعي خطوات أقدام كثيرة ، كان جلياً أن أعرف أنهم قادمون لي فلم يكن سواي في زنزانتته. فُتِح باب الزنزانة فدخل المأمور وانصرف الآخرون.

اقترب مني بحذر وقال

_ أتريد الخروج من هنا ؟

دبّت الجملة الروح عندي فنهضت وأنا أخفي
ابتسامتي فقلت له

-كيف ذلك

_الباب مفتوح وباب السجن الخارجي ايضاً ،
أخرج اذا أردت ، ولكن الى أين ستذهب فالجميع
هنا والجميع سيأتون هنا .

تلاشت فرحتي مثلما يتلاشى الدخان وأجبتُهُ
بعصبية

-أذا لم أقتلك أنا حتماً سيقتلك شخص آخر ،
وينتصر لهؤلاء المساكين

__ أنتَ مخطئٌ لست أنا من أسس هذا النظام ، أنا
واحد من العاملين كنت مثلك في يومٍ ما ووجدت
نفسي هنا

-ماذا وجدتم هنا وماذا ستكسبون من خدمة نظام لا
تعرفون من أسسه ، أنتم شرٌّ من الدواب لا تعقلون
ما يجري لكم .

__ سأتركك لتزتاح أيها المعلم المخلص ، تحتاج
الى الراحة الآن .

قال عبارته الأخيرة هذه ببرود وابتسامة ممزوجة
بارتباك وتردد انصرف بعدها وتركني مع
شعوري الجارف نحو الهرب والخلاص من هذا
الجحيم الذي أصبحتُ فيه ، كان بارداً لم يحمل
وجهه أي ملامح تُعبر عن منصبه ، ولم يكن كما
رأيتُهُ في يومي الأول هنا بل على العكس فقد كان
وضيعاً متمزج ملامحه بالدناءة .

حملتُ الأوراق التي أعددتهم في غرفة المأمور
ودخلت زنزانتي كان هناك أطفال يجلسون على
الأرض وينتظرونني بتلهُّف ما أن وصلت حتى
بدأتِ الدرس فقلت لهم

أنتم هنا في مَكَانٍ فَرِيدٍ من نوعه ، نظام مميز
وقوي
وستكونون جزءاً منه في المستقبل.

خليفة الله

أدرك الجميع أن لون الأرض أزرق ولم يجعلها هكذا غيره خليفة الله فمذ وُجِدَ وهو يعيِّث فيها فساداً حتى أوشك خالقه أن يُذهبه ويأتي بخلفاء آخرين لكنه ناجاه وسأله أن يمنحه الفرصة الكاملة فأعطاه ما سأل . فاستمرّ بالإفساد والخراب دون إكترث فقد خُلِقَ بغريزة وعقل ينسى او يتناسى أحياناً فتنتصر غريزته دوماً هكذا عُرِف منذ هبوطه من الخُلد حتى ولُوِّجَه في الأرض . حيث أضحى يُردد دوماً ها أنا ذا خليفة الله وسأبقى هنا الصوت والفكر والأثر . وكل ما هنا مُسيّر لخدمتي هكذا وعدني خالقي وهكذا أستحق . واستمر دون اكتراث حتى أصبح لون الأرض شديد الزُرقة. لم يدرك خليفة الله مدى ضعفه الا متأخراً حين أوشكت فرصته على النهاية. أمعن النظر لم يجد أنه قد ترك أثراً سوى الخراب والدمار . لم يحقق غايته من وجوده ولم يكن باستطاعته تغيير شيء مما حدث فهو أضعف مما توقع. كان قد أدرك أن أصل هذا الدمار هو

الشرور لذا جلس وفكر ملياً عن أصل الشرور. حتى أستخلص فكرة فقال : يا رفقاء إياكم والجهل فهو أصل الشرور قد أصبحنا هنا بفعل جهلنا فصرنا نلوم بعضنا بعضاً على ما اقترناه جميعنا. تذكروا يا رفقاء أننا هنا لترك أثرٍ يسمو بنا الى حيث كنا .

إياكم والجشع والطمع فإنه سيؤدي بكم الى الهلاك فهو الذي جاء بكم الى الأرض بعد أن كنتم في الخلد.

قد تملّكم فأصبحتم لا ترون مساوئ ما عملتم . وتناسيتم ما حدث لأبناء خليفة الله الأول فقتل أحدهما الآخر كرهاً وطمعاً.

إياكم أن تنسوا يا رفقاء

إياكم ...

رحل خليفة الله وقدم آخرون ولأنه إنسان فقد عُهد إليه فَنسى

او ربما تناسى ...

واستمر بالإفساد ، واستمرت الأرض زرقاء شديدة

رحلة

لم يعتد السفر وحيداً ولم يحبذ الفكرة لكنها الحياة أرغمته على ذلك المصير فغدت تُزيل عنه كل أنيسٍ وخليل حتى وصل به الحال وحيداً يطالع حاضره فيجده خاوٍ . وفي أيامه التي أحس انها شارفت على نهايتها رغم عدم تجاوزه الستين قرر السفر بعيداً لجزيرة ساحلية لم يألف أسماها او يرى صورها في الصحف والمجلات التي دأب على مطالعتهم.

لكنه أستحسنها وهمّ بزيارتها فور رؤيته لصور طبيعتها الخلابة وجمالها الأخاذ علّه يمضي آخر أيامه في سكينه وسلام.

عند وصوله دجى اللّيل فتكحلت السماء معلنة مجيئ الغسق وتزينت بنجومها البرّاقة. جلس وحيداً على شاطئ هادئ خالي من ضجيج الشوارع ومن البشر . مستمتع بالطبيعة حيث وجدها تعزف لحناً شجياً يُشيع في النفس الراحة والبهجة

ها قد بدأت نعمة الحياة حيث لا ضجيج ولا
اصوات تعلوا فوق ترانيم الطبيعة.

هدوء الشاطئ أهدأ تفكيره ولمعان النجوم دبّ في
نفسه الطمأنينة .

فوجد نفسه يقول :

لم أشعر بقربي من الطبيعة كما أشعر الآن
فأجابه صوت أجش :

العين مرآة الروح يا سيد؟

صوب ناظريه الى مصدر الصوت ، وحد بصرة
ليرى جيداً في هذا الظلام الحالك فاذا به رجل
مقارب الى سنة أستحوذ الشيب على شعره ذو
وجه ناصع ووجنة متوردة

نهض وأبتسم للرجل القادم من بعيد وبصوت
هادئ قال له .

_ نجيب .

اقترب الرجل منه وتصافحا وهو يقول

_ أنا نادر .

وبعد التحايا جلس العجوزان على الشاطئ كما لو
كانا أطفال لم يتجاوزوا العشر سنوات
فقال نجيب :

_ قد سمعت هذه المقولة كثيراً لكن ما علاقتها
بقربي من الطبيعة

-العين مرآة الروح يا صديقي فعندما تمعن النظر
في شيء فأنت تعرّفهُ على روحك وتعرّف روحك
لهُ.

_ وكيف ذلك

-العين هي أنت هي ما تشعر ما تضرر وما تفكر .
قد يتغير الجسد ، فتتغير ملامح الوجه و الجسم الا
إن العين تبقى كما هي.

نظر نجيب الى الشاطئ وقال :

_ بالفعل هذا ما شعرته ، كنت قريباً من الشاطئ
في اللحظات الماضية أمتزج مع أمواجه فاحكي له
ما يراودني.

بقي الاثنان يتسامرون مستمتعين يُأنس أحدهم
الأخر

وكان نجيب وجد ضالته
وجد رفيقاً لرحلته.....

عند الصباح وفور وصوله الى المقهى الذي
يتوسط المدينة والذي يطلُ على ميدان واسع
تجمهر الناس فيه مبتهجين جلس ينظرُ إليهم براحة
ظاهرة وحزنٍ دفين . حزن كاد يُفصح بالدموع
لولا مجيئ نادر الذي كان نجيب بانتظاره.
سحب الأخير كرسيّاً وجلس بمحاذاته قائلاً

_ تبدوا حزيناَ أيها العجوز
-كيف عرفت

_ من عينيك ، ألم نتفق في الأمس أن العين مرآة
الروح .

أوماً نجيب برأسه وسكت لثواني قبل أن يجيبه
بسؤال

-ماذا كنت ستفعل لو علمت أنك تعيش آخر ستة
أشهر من عمرك ؟

أخفى نادر صدمة وحزن عند سماعه كلمات
نجيب المفاجئة ، وَجَمَّ لفترة لم تكن قليلة .
فعاجلهُ بسؤال ثاني ليقطع حالة الصمت التي
تملَّكته

-إذا بُلغت أنك ستسافر الى مكان تحلم بزيارته
وستدفع كافة تكاليف الرحلة عنك ، ولكنها ليوم
واحد فقط ماذا ستفعل في هذا اليوم يا نادر ؟
أبتسم نادر وقال ببهجة مصطنعة

_ بالطبع سأستغل كل لحظة في هذا اليوم سأزور
كل الأماكن وأستمتع قدر الإمكان . ماذا عنك ما
الذي كنت ستفعله

-كنت سأفعل ثلاث أمور الأستمتاع ، العمل ،
والأثر

_وكيف ستحقق هذه الأمور في مدينة تزورها
لأول مرة وليوم واحد ؟

-سترى ذلك

وبعد فترة من السكوت والسكون الذي خيم عليهم رغم ضجيج المكان . نهض نجيب و دَعَا نادر الى النهوض معه

كان هناك تجمع لأناس ينظفون شوارع المدينة .
تشارك الاثنان عملية التنظيف مع حشد المتجمهرين ، وإستمرّ التنظيف لساعات لم يشعر بها الأثنان الا بالمتعة

كانا أشبه بطفلين سئما الجلوس طويلاً وها قد حانت ساعة لعبهم .

بعد انتهاء التنظيف والذي إستمرّ لساعات جلسا على رصيف وقد أضناهما التعب ، والذي لم يشعروا به الا مع قرب نهاية العمل فقال نجيب :

-أرأيت لقد أنجزت شيئاً مهماً لهذه المدينة وخلال ساعات قليلة , الوقت القصير لن يكون عائقاً لفعل هذه الأمور الثلاثة.

ابتسم نادر وقال

_ وكيف كانت رحلتك ؟

أطرق نجيب رأسه وفكر ملياً قبل الإجابة

أَرَمَاءَ

-أشبهُ بحلم .

_وكيف ذلك يا صديقي.

-دعني أسالك سؤال يوضح ما أقصد ، ما الذي يثبت أننا التقينا هنا بعد فترة من الزمن .

_إذا التقطنا صورة ، ستثبت هذه الصورة أننا التقينا.

-وعدا ذلك

_لا شيء.

-عندما تأكل وجبة طعام شهية ، ما الذي يثبت أنك تناولتها بعد مرور أسبوع.

_لا شيء

-وهذه التساؤلات يمكن أن تقودنا لفكرة أننا غير موجودين من الأساس ، فليس هناك شيء حقيقي بل مجرد تخيلاتك أنت تتخيل وجودي وتخيل أنك ترى هذه المدينة.

_لكننا الآن نفكر في هذا الموضوع ، والتفكير يثبت أننا موجودين .

-بالفعل ، هذا ما طرأ على تفكيري ايضاً . لكن هنالك شيء يجعلنا لا نميز بين الحلم والواقع في بعض الأحيان.

_ أستطيع فهم ما تقصدهُ يا نجيب فعندما تتذكر لحظة معينة في حياتك ، فأنت لا تميز فيما اذا كانت حلم ام واقع ، فليس هناك شيء يثبت ذلك.

-تماماً ، وبالتالي نستنتج أن الموت هو الحقيقة الوحيدة في الحياة.

_وماذا بعد الموت برأيك.

-ربما ستقلنا الحقيقة الوحيدة في الحياة لحقيقة أكبر. فحتى النصوص الدينية تُشير الى أن الحياة الأخرى أفضل بكثير من الأولى.

_اذا افترضنا أن الحياة حلم ، كيف كان حلمك ؟

-مزيج من كل شيء يا نادر ، الألم ، التعافي ، الخيبات ، البهجة ، السعادة ، الحب ، التجربة.

ثم تنهد نادر وأردف :

الحياة تكون ممتعة أحياناً ، وغريبة أحياناً أخرى يا نجيب كذلك الإنسان ، فالإنسان كائن متغير.

أوماً له نجيب بالإيجاب ثم قال

- ما رأيك بفنجان من القهوة ؟

_ سيكون ذلك رائعاً

سار الاثنان الى المقهى وكلٍ منهما يبحث عن
جواب لأسئلة قد تراءت له .

في المقهى جلسا مستمتعين برائحة القهوة وبخارها
المتصاعد من الفناجين والتي ملأت المكان برائحة
عبقة محببة لكليهما .

قال نجيب بعد أن أرتشف رشفة من القهوة

- ليس من الضروري أن يكون رفيقك في الحياة
إنسان فقد كانت هذه القهوة ورائحتها أكثر رفيق
مبهج أعتاد زيارتي صباحاً .

_ ومن رفقاءك ايضاً يا نجيب

-المطر ، الشاطئ ، الخيال ، اللحظات الدافئة ،
الأشخاص الودودين الذين أكلّمهم لمرة واحدة في
الحافلة، المكتبات ، والأبنية القديمة . كل هذه

الأشياء وأكثر هم الرفقاء الحقيقيون في الحياة ،
والشيء المشترك بينهم هي البساطة. فهي التي
تجعل كل شيء جميلاً ومُبهِجاً .

_ غريب أنتَ يا نجيب ففي أوقات تكون مبتهجاً
مندفع اندفاع الشباب ، وفي أوقات أخرى تكون
وأجم يعتليك حزنٍ كبير.

-أنا مُتقلب كالحياة يا نادر ، فليست هنالك حياة
جميلة بمُجملها ، وليس هنالك حياة تعيسة بمُجملها
هي خليط من اللحظات وعلينا أن نعطي كل لحظة
الشعور الحقيقي.

_ هل أنتَ خائف ...؟

-أنا وحيد في الحياة يا نادر ، وهكذا كنتُ دوماً
الرحلة كانت فردية حتى عندما تكاثر الرفقاء
حولي كنت أشعر بأنها رحلتي وعليّ خوضها
بمفردتي. لكنّي لا أخفيك أنا خائف فالقادم مجهولٍ
بالنسبة لي

وكل مجهولٍ مخيف.

سكت الاثنان لدقائق يتأملون وكلاهما يسترجع ما فاته وما قد عمله في الماضي فيشتاق ويحزن . وينظرون هل ما تركوه من أثر سيُخلدهم.

حزم أمتعته في صباح العودة ، كان في كل رحلاته السابقة يشعر بالحزن عندما يقترب وقت المغادرة . الا في هذه الرحلة فقد أحس أنه قدّم كل شيء .

عند الطائرة جلس يحدّق في وجوه المسافرين المارين ويقراً عيونهم فيجد الحزن في عيون البعض ، البراءة او الحماس عند البعض الآخر . تذكر نادر عندها فهو الذي أرشده أن العين هي الروح ، فلذلك أنت ترى روح الأشخاص عندما تمعن النظر في عيونهم.

مع صفوف المارين أقبل شاب مبتهج يطالع أرقام المقاعد حتى وصل الى نجيب وجلس بجانبه.

حياه بابتسامة وسأل بمجاملة

كيف كانت رحلتك ..؟؟

رد نجيب بابتسامة .

-قصيرة ، لكنها ممتعة .

أجابه الشاب

_أعتقد أنها ستكون ممتعة اذا كانت طويلة ومليئة
بالمغامرات

نظر نجيب الى عين الشاب فوجد روحاً تُريد
الاستكشاف والاستمتاع روحاً مُقبلة على رحلتها
فأجابه :

لكني حققت ما أريد ، عملت فيها فتركت أثراً ،
واتخذتُ فيها رفاقاً آنسو رحلتي ، وتعلمتُ على
طول مدتي فيها

أذا فعلت مثلي ستجد أنها ممتعة . حتى وأن كانت
قصيرة .

بيت الحياة

في البدء كانت الفكرة والتي غالباً ما تسبق كل بداية . والبداية كانت في قديم الأزمان حيث وُجِدَ الإنسان وأستطاع أن يحوز الصفات والهبات الربانية ويصطفيه الإله عن كافة البرية. وُجِدَ الإنسان ووُجِدَت معه المعاني . لكنه أمضى الأيام الأولى في مملكته وحيداً يعتلي حياته الضيق والكدر. أحس بعد ربح من الزمن أنه يفتقر الى أنيس وخليل فوُجِدَت من ضلعه وليفتة وصاحبته التي أنست وحدته وجعلت منه مغامراً . لم يشعر بكماله الا بها ولم تشعر هي بوجودها الا به . وكان يزيد أنسه بها ليلاً ونهاراً فعظم بها ولوعه وظن أنها من جملة الجواهر السماوية . عندها وجد القوة في مواضع والصبر في مواضع ، وعنده وجدت الإقدام في مواضع واللين في مواضع .

ثم راح ينظر الى أصناف الحيوانات والنباتات وسائر المخلوقات فيجد أنهم جنسين. يقوم كل جنس بوظائف معينة يتحقق عندها الكمال .

وبقي على ذلك برهة من الزمن يتصفح أنواع الحيوانات والنباتات ويدرك أن له آخر مثل هذه الكائنات. ولهما غايات تُمثل جوهر وجودهما . ولكنه الأعلى شأنًا والأكمل وصفًا عن كافة المخلوقات. فقالت له حيناً

— أنا وليفتك من ضلعك خلقت وإليك أعود فأحتمي بك، أنا كالمياه التي إذا مرت على أرض يابسة أزهرت ونمت فتفتحت أشجارها ونمت ثمارها . أنا باعثة الحياة وحاملة الأجناس من الذكور والإناث. أنا سيدة الحكمة أتمسُ طريق الإحساس الغريزي والقلبي . أنها حكمتي الخالدة فأنا أصل الكون ومبدأ الأشياء .

فظهر له بعد هذا التأمل وتلك العبارات أن وليفته تقوم له مقام الروح في الجسد اذا افترقا سيغدو جثة هامة فهي بمثابة "روح الحياة"

فقال :

أيتها الرفيقة المنحوت أسمها على جدران الكهوف
وجذوع الأشجار

منذ أن عرفتكِ وأنا في حالة نشوة نحو الحياة

فغدوت أرى الحياة أينما تطئين الأقدام
فحيثما كنتِ ، كانت الحياة
ولأجلنا سأرعى بيت الحياة.

فجعل هذا الزواج المقدس معنى لحياتهم وإمتداداً
لنسلهم

وبذلك اختزلاً أساس الحياة إذ جمعا بين الحب
والخصب، القوة واللين الصبر والإقدام . ومن
اختلافهما تحقق الكمال.

عاش الاثنان في النعيم معاً وأطلق على بيتهم أسم
(بيت الحياة) إذ أوجز أساس الحياة
ومن هنا أتت التسمية

الطوْطم

الوطن هو الملائدُ الأمانُ وهو الباقي ، لا وجود لنا لولا وجود الوطن ولا وجود للوطن لولا وجودنا . بهذه العبارات الموجزة أنهى قائدنا خطاب الانقلاب والنصر على الدكتاتورية المقيتة .

بعد سنوات من الاستبداد وسلب الحقوق ، ها هو ذا عصر الحريات ينبجُ بفضل المؤسس والحامي للبلاد .

في اليوم الذي تلى الخطاب الأول خرج آلاف الجماهير الى ميدان واسع ، يحملون صور القائد ويهتفون باسمه حيث سيطل عليهم من أعلى منصة تتوسط الميدان. كُنت مع الجموع أترقب حضوره فإذا به يتقدم الى المنصة مع عدد كبير من المرافقين بدا كثيف الشعر طويل اللحية يرتدي زياً عسكراً يمسك بيده سيجاراً ويرفع الأخرى ليحيي الناس. لم تنفك الابتسامة عن وجهه ولم يهدأ هُتاف الجمهور باسمه :

عاش وطننا ، عاش قائدنا

مجلي الاستبداد ، وناصر المظلومين
أستمر الهتاف لما يقارب النصف ساعة لم يشعر
بها الطرفين بالملل والتعب .

وبعد أن أستقر هتاف الناس وأنصتوا قال القائد :

لقد ضحينا ودفعنا الكثير من أجل هذا اليوم ، وهذا
النصر، أقول للمتربصين بأمن بلادنا بأننا
سنلاحقكم وستغدو بلادنا مقبرة لكم .

تعالت هتافات الجمهور فور انتهاءه من الكلام

عاش جلالته قائدنا ، حامي بلادنا ...

خالجني شعور بالخوف من ما سيحدث ، فلم
يحتوي كلامه على كلمة حرية او حياة عادلة بل
كان جُل اهتمامه على الانتقام والقتل والثأر .

لماذا لم يقف الناس مثلي مذهولين ومصدومين مما
قاله

بل حيوه وأمطروه هتافاً وتشجيعاً

الم يشعروا لوهلة أنهم على أعتاب دكتاتورية
جديدة

لا أعرف ماذا دهاهم

ربما كان ذلك ديدن شعبنا فهو يُجيد صنع شخصية
الدكتاتور.

ها قد حان اليوم الموعود ، يوم تنفيذ الحريات التي
أضحى كل من قصد السلطة يرددها ويتوعد الناس
بها وكأنها من كماليات الحياة لا من أساسياتها .
وفي صباح ذلك اليوم ولج رجال ضخام الى
مضجعي وترامت عليّ أسألتهم واحدة تلو الأخرى
، أسمي ، سني ، عملي وعندما فرغو من جميع
أسألتهم وتبينت لهم هويتي اقتادوني مكبل اليدين
معصوب العينين الى خارج البيت وساروا بي
الى مكان بعيد .

كُنْتُ أستجمع ما حدث في الأمس وأعيد سردها
على نفسي ، لعلي ارتكبت فعلاً شنيعاً ، فأجد أنني
كنت كباقي الناس الحاضرين فور انتهاء الخطاب
عدت بهدوء الى منزلي ، لم أجتمع مع أحد ولم
التقي أحد على الإطلاق

بعد طريق طويل عم فيه السكون والهدوء وبعد سلسلة من التفتيشات وجدت نفسي أخيراً في غرفة شبه خالية لا يوجد فيها سوى طاولة احتوت كرسيين متقابلان وصورة ضخمة للقائد وهو يُلّوح بالنصر. لا أعلم كيف أنتصر وعلى من أنتصر ، او كيف وجد وقت للنصر وملاحقة المتربصين بأمن البلاد والتقاط الصور ، أمنت عند إذ أن الإنسان عندما يكون في السلطة يتغير بل يصبح أكثر وحشية وإجراماً خصوصاً اذا حظي بشعب أعتاد القسوة وآلف الانتقام .

فُتح الباب بقوة وأغلق بسرعة دخل رجل طويل ذو ملامح قاسية وشارب أبيض على الرغم من تقدّمه في السن كان نشطاً قوياً

حدج بي بغضب ثم جلس أمامي وقال

_ الى أيّ حزب تنتمي ؟

أجبتُهُ بتلعثم

-لا أنتمي لحزب ولم أنتمي في حياتي

_ الى أيّ جهة خارجية تعمل ؟

- لماذا هذه الأسئلة ما الذي فعلته ليتم التحقيق
معي هكذا.

_أمتنا وشعبنا يعرف المتربصين والخونة

-لكني لست كذلك ، ولم أفعل شيء يستحق هذه
الأسئلة

_ البارحة أثناء خطبة القائد ، لماذا لم تكن كباقي
الناس

-وكيف أكون كباقي الناس ؟

_لماذا لم تصفق او تهتف باسم جلالته او تردد
الشعارات التي كان يرددّها الجمهور.

-لأن الخطاب لم يعجبني.

صُعق من جوابي واتسعت عيناه دهشة مما أقول
لم يتردد لوهلة وقبل أن أكمل كلامي لكمني بقبضة
حديدية على صدري فرّضت اللكمة عظامي و
تكورت على الأرض أتأوه المأ .

بقيت لدقائق لا أقوى على النهوض الى أن دخل
الحراس وأعادوني الى موضع جلوسي وريثما

أكمل سيجارته وأنهى خطواته في الغرفة ذهاباً
وعودة قال :

_إياك أن تسيء الى رمز أمتنا وقائدنا المؤسس
ثانياً

-لم أسيء له ولن أسيء لأحد ، انا فقط قلت
الحقيقة ، أليس هذا عصر الحريات.

_هو كذلك ، والغالبية اختارت قائدها بمنتهى
الحرية اذا امتعض او أساء أحد فهو يُسيء للشعب
أولاً وللوطن ثانياً

- أنها حرية زائفة الجميع يعرف ذلك ، فلو كانت
حقيقية لما كنت هنا لسبب كهذا.

سكت قليلة باحثاً عن ردٍ مناسب وعندما عجز قال
بعصبية .

_نحن نعرف الخونة جيداً

-وكيف قررت أنني خائن ، فقط لأنني لم أهتف
باسم القائد أوليس الرئيس له دور في الوطن مثلما
للطبيب والمحامي وعامل النظافة .

_ستحول الى المحاكمة بتهمة الخيانة العظمى .

قالها وأنصرف بلا مبالاة وكأنه يودع زميله بعد نهاية يوم عمل طويل ، أحسستُ أنها ضريبة الحريات المزيفة وضريبة الشعب الكسول فكراً ، فالحكومات هي نتاج شعوبها ، فهي تُعبر عن توجهات و آراء وأفكار نسبة كبيرة من الشعب ، فتغيير نظام سياسي ما لن يُغير شيء مالم تُقلع الجذور التي نما عليها هذا النظام.

انجلى صباح يوم المُحاكمة اليوم الذي سيكون للقانون رأيه وكلمته كما كان دوماً . دخلت قاعة المحكمة بسلاسل طويلة ربطت بها يدي وأقدامي وكأنني مجرم حرب أودى بحياة الملايين

أكتظ المكان بالجمهور الذي قرأت من ملامحهم استياء مني وهجوماً عليّ ، فشرعت بالبوح بكل ما أعرف لعلمهم يهتدون او توجه أبصارهم صوب الحقيقة.

توسطت القاعة فدخل القاضي مع مرافقيه وجلس في مكانه المخصص طالع أوراق القضية بملل ونظر لي وهو يخلع نظارة القراءة .

أنتَ متهم بالخيانة العظمى للبلد ما رذك على ذلك ؟

بل أنا مدافع عنه. أن السلطة تقول أنه عصر الحريات ولقد تبين العكس.

تعالت أصوات التنديد والشتائم من الحضور فطرق القاضي مرتين بمطرقته الخشبية وأمرهم بالسكوت.

وبعد هدوء القاعة استرسلت في الكلام قائلاً:

-أن السلطة التي تمارس القسوة والاستبداد على مواطنيها، هي سلطة خاوية ضعيفة ، وتفعل ذلك بدافع نفسي لأنها أيضاً تم ممارسة الاستبداد عليها في السابق. وهكذا دواليك سنعيش جميعاً في دوامة من الانقلابات والاستبداد والقسوة والثأر.

نظر لي القاضي بحدة وقال

-الا تلاحظ أنك تسيء لرمز من رموز أمتنا وقائدنا ، هذا الشيء بحد ذاته جريمة .

-وهل القائد قديس ام إنسان مثلنا ، لماذا تتخذون
لَهُ صفات يشارك بها الإله . فهو موكل بأدارة
شؤون البلاد وليس العبادة.

تعالت الأصوات والشتائم ثانياً عجبي لأناس
أنتصر لهم فيخذلونني
صرخت فيهم :

كل الثورات الحقيقية انتصرت بالفعل، وأخبطها
أمثالكم

كل الثائرين انتصروا لوطنهم وعاشوا في وطن
يحلّمون به، وأماتهم أمثالكم.

كل القادة مخلصين لوطنهم ، فاستبدوا وتفرعنوا
لوجود أمثالكم.

كل البلاد تنعم بالخيرات والازدهار ، لخلوها من
أمثالكم

يا من تحبون الذل والعبودية ..

طرق القاضي بالمطرقة وبصوت حاد أمر
بالسكوت فوراً ، فأنصت الجميع

صوّب نظره لي وقال هل تريد إضافة شيءٍ آخر؟
يا سيادة القاضي أن القانون هو الفيصل في هذا
الموضوع ولهذا انا مطمئن ، لكن ما أود قوله
للمحكمة وللحاضرين جميعاً أن السلطات لها دور
مثل ما للجميع دور في هذا الوطن

السلطة ليست عصابة كي تنتقم وتثأر وتقتل وتبيد
جميع من سبقوها في الحكم، او جميع من يخالفوها
الرأي بل في تكوين قانون صارم يلتزم به الشعب
فيغدوا يخاف من القانون وليس من الحاكم ،
ويحترم القانون وليس الحاكم قانون لا تشوبه
شائبة ، قانون لا يخدم مصلحة أحد سوى مصلحة
الوطن .

أكملت كلامي والذي كنت أردده بحماس مفرط ،
وفور انتهائي ناظرت وجوه الناس ووجه القاضي
فرايتهم مستغربين وغير مستوعبين ما أقول
وكأنني أتكلم بلغة أجنبية . عمّ السكوت في المكان
لثواني فتدارك القاضي الموقف وردد عبارات
أكثر رسمية تعبر عن انتهاء وقت المحاكمة فقال

وهو يقرأ من ورقة كانت أمامه' بعد الاستماع لشهادة المتهم ، تُرفع الجلسة لتشاور والتباحث ' ضرب بالمطرقة الخشبية ، فنهض وتبعه مرافقيه، فوقف جميع من في القاعة.

كانت دقائق طويلة أستحکم منها القلق والخوف ، تعالی نبضي ولم تسعفني قدماي على الوقوف فاستندت على المنصة الخشبية التي أمامي . وحالما سمعتُ خطوات أقدام تقترب من باب القاعة حتى تملّكتني القوة فوقفت بشموخ .

عند دخول القاضي وقف الجميع بترقب فردد قائلاً: قرار المحكمة

" قررت المحكمة الحكم على المتهم بالإعدام شنقاً لارتكابه جريمة الخيانة العظمى ، والإساءة لقائدنا المؤسس ورمز أمتنا

على أن يُنفذ الحكم في الخامسة صباحاً من يوم غد"

رُفعت الجلسة .

الإنسان الأخير

كُتلة من الأصوات المتدافعة أعادت لي وعيي وأعادتني من حالة سكون تام الى حالة ضجيج ورتم متسارع. كنت حينها في مستشفى مستلقياً على سرير ينتصف الغرفة التي اكتظت بمجموعة من الأطفال و النساء والشيوخ مجموعة بشرية كبيرة ملأوا الغرفة يستجدون رعاية من المسعفين والمرضى. ويتساءلون في ما بينهم عن موعد مجيئ الأطباء . بالأمس كنت في مكان ما ، لا أعلم ما الذي جاء بي الى المستشفى . الظلام الدامس الذي كنت أغط فيه أفقدني جزءاً من ذاكرتي ذلك المكان أشبه بغيمة سوداء ابتلعت كل الأشياء بداخلها حالة لا أتمنى رجوعها فقد أفقدتني نفسي وجاءت بي الى مكان لا أتمنى مجيئه. الأجواء في الغرفة تشير نحو شيء غريب ، ورائحة الغرفة هي أقرب ما تكون لرائحة الموت . عند ذلك تقدمت نحو ممرضة وضعت لي محاليل والابتساماة لم تفارق مٌحياها وبجهلي النابع من استسلامي لما يحدث ظننت أن هذه

المحاليل ستعيد لي بعض من ذاكرتي فتتقافز الذكريات على فص الدماغ الصدغي وتدخل الحصين بانسيابية عالية وتُرسل مباشرة نحو بقعة شبكية العين فأرى كل ما حصل لي وكأني أشاهد التلفاز. آمنت بهذه الفكرة واستسلمت لما يجري وضعت الممرضة المحاليل ببطء منرفز وأنصرفت بخطوات غريبة دون أن يؤثر بها أي شيء مما حولها. أدهشني ما حصل فالإنسان بطبيعته كائن يتأثر ويتفاعل ويؤثر بمحيطه ، حتى لو كان محيطه غرفة طوارئ في مستشفى سيئة المعدات والبنية. على هذه الشاكلة بقيت لمدة لم تكن قليلة أراقب قطرات المحلول وهي تتساقط الواحدة تلو الأخرى فتدخل أوردتي بانتظام يشبه انتظام هذه الغرفة رغم ضجيجها . كنت يقظاً غير واعي ، متفاعلاً غير مدرك ، مبصراً غير بصير أوليس ذلك منطقياً ، أيّ كان ما حصل او سيحصل فلن أستطيع تغييره بمفردي. لا أدري ماذا دهاني لعل الغيمة السوداء ابتلعتني أنا الآخر فصرت غيرُ أبه بما يجري هنا . هدأت الأصوات نسبياً حال دخول الأطباء قسم الطوارئ مجموعة

من الأشخاص بزيمهم الأبيض ومعداتهم التي
اختلفت من شخص لآخر تبعاً لوظيفته المحددة
يتقدمون بعشوائية نحو المرضى . لم يمضي
الكثير حتى تقدموا صوبي تناول أحدهم اللوحة
المعلقة في مقدمة السرير والتي يكتب فيها كل
معلوماتي الشخصية وحالتي الصحية. نظر فيها
بإمعان وقال لمرافقيه من الأطباء

_ حالته مستقرة لن يحتاج المكوث في قسم
الطوارئ بعد الآن

ثم لَوَّح لأحد المسعفين وقال له

يُنقل الى الردهة رقم ١٣ .

كان المُسعف الشاب هو الشيء الوحيد الذي
أشعرني بالسكينة في هذا المكان الموحش الكئيب،
فساعدني على النهوض من السرير الى الكرسي
المتحرك وسار بي خارج قسم الطوارئ بابتسامة
ودودة أشعرتني بالحياة. وأثناء مرورنا في أقسام
المستشفى حاولت أن أبادله بعض الكلام وأعرف
منه جزءاً من هويتي فأسترجع بعض ذاكرتي

أرّماء

فقلت له متردداً

-ما هو أسمي

أجاب بعد ثوانٍ قليلة

_أسمك هو المريض رقم ٤ ومهمتي أخذك الى
الردهة رقم ١٣

أثار استغرابي وأحبطني جوابه فقلت له

-أليس هناك معلومات أخرى تثبت هويتي

سكت ايضاً لبضع ثوانٍ قبل أن يجيب

_كل المعلومات التي لدي أنك المريض رقم ٤
ومهمتي أخذك الى الردهة رقم ١٣

جوابه الغريب والذي لم يبتعد كثيراً عن غرابة
المكان جعلني أسأله بفضول

-وما هو أسمك

سكت لبرهة أدركتُ بعد انتباه شديد أنها أربع ثوانٍ

_بما إني مسؤول عن إسعافك والعناية بك يمكنك
تسميتي المسعف رقم ٤ .

أرّماء

أردت أعاظته فقلتُ بتكبر.

-لا يعجبني هذا الاسم ، ما قولك أن أختار لك اسماً آخر؟

سكت كعادته لثوانٍ أربع ثم أجاب

_شكراً يا سيدي على اهتمامك ، المسعف رقم ٤ يبدوا جيداً لكن اذا كنت ترغب بأطلاق لقب جديد عليّ فانا في خدمتك.

بعشوائية وسرعة تبادر الى ذهني أسم فقلت له .

-ما رأيك باسم فيرنر

_أسم فيرنر جيد جداً اذا كنت تفضل هذا الاسم وهو ايضاً أسم العالم الالمانى فيرنر كارل هايزنبرغ وهو فيزيائى حائز على جائزة نوبل لعام ١٩٣٢ أكتشف أحد أهم مبادئ الفيزياء الحديثة وهو مبدأ عدم التأكد او اللايقين.

قالها وضغط على زر المصعد الكهربائي فدخلنا وتوجهنا الى الردهة ١٣. وقد ارتسمت على وجهي ملامح الدهشة والغرابة فليس هنا ما يشير

او يوحى بالاطمئنان حتى اذا ظننت أن هناك ما يدعوا لذلك.

عند دخولنا بوابة الردهة قابلنا ممر طويل يحوي غرف كثيرة لم أنتبه حينها الا الى نهاية الممر حيث رأيت مكان معتم استطعتُ التخمين بسهولة أنه الحمام. لم نسر طويلاً فسرعان ما انحرف فيرئر ودخل الى غرفة في بداية الممر . في الغرفة كان رجلين أحدهما يزيح القليل من ستارة الغرفة وينظر من خلال النافذة الزجاجية . والآخر يجلس في سريره ويعتلي وجهه الغضب والضجر . لم يعيران حدث دخولنا أي اهتمام او انتباه تردد الى ذهني صدى عباراتي في قسم الطوارئ حينها أليس من طبيعة الإنسان أن يتأثر بمحيطة لما هذا البرود الذي يمتلك الجميع هنا.

بعد أن ساعدني فيرئر على الاستلقاء على السرير تحرك بانسيابية متجهاً نحو نهاية الممر.

غيمة سوداء كبيرة ملأت السماء فدخلت بفرع الى بيت متهالك لم أرى غيره في ذلك المكان الفسيح لعله يحميني من هذا الشيء العملاق القادم من بعيد ، سرت في أرجاء البيت بهلع باحثاً عن أكثر الغرف هدوءاً فاذا بها جدران البيت تُنتزع بقوة وتُسحب للأعلى نحو مكان الغيمة حتى انكشَف البيت بأكمله

فسحبتني الغيمة بشدة نحوها ، صرخت بقوة متشبثاً بما بقي من أجزاء البيت.

استيقظت بهلع تفحصت الغرفة بنظرات دهشة وخوف كان الرجلان يغطان بنوم عميق وقد حَيّم الهدوء على المكان. هدهة هلعي نسبياً فنهضت من السرير وخرجت من الغرفة. كان هذا الحلم يراودني بين الحين والآخر استطعت تذكّره فهو ما رأيته قبل أن أستيقظ في غرفة الطوارئ فأصاب بعد استيقاظي بالصداع والغثيان دوماً ، قادني التفكير وشروء الذهن الى نهاية الممر ، ها أنا ذا أواجه أول ما أثار انتباهي في هذا المكان . دخلت

بخطوات حذر لم يكن المكان يوحى باي خطر او
يثير الرعب ، بقدر ما كان يثير الاشمئزاز دورة
مياه متهاكة تفوح منها رائحة ننتة . بحثت عن
صنبور المياه وسط الظلام ساعدني على ذلك
ضوء القمر الذي إنعكس على زجاج نافذة
الحمام. فتحت الصنبور فانسابت المياه بغزارة
وبصوت عالي أفزعني . ضمنت يدي تحت
صنبور المياه متخذاً شكل الإناء وما أن امتلأت
يدي حتى رششتها على جبھتي فهدأ صداعي
واستعدت تركيزي نسبياً ، كررت العملية مرات
عديدة مستمتعاً بالمياه الباردة وهي تنهمر على
وجهي . ولما انتهيت أغلقت الصنبور فعاد الهدوء
مسيطرأ على المكان . لما توجهت الى الباب
أحسست بشيء ما يقف خلفي ، فالتفت الى الخلف
وقد تملّكني الفرع

رأيت فيرنر خلفي ينتظرنني بابتسامته المريبة.
فقلت بصوت عالي محاولاً إخفاء فزعي

_فيرنر لما أنتَ هنا

-في الحقيقة يا سيدي أنا المكلف بمساعدتك
والعناية بك، فيجدر بي طرح السؤال عليك .

_لقد رأيت كابوساً مزعجاً

-ماذا رأيت يا سيدي ؟

لم يكن فيرنر الشخص المناسب لأخباره بكل ما
يجول بخاطري ، فهو مريب وغير جدير بالثقة.
حاولت تغيير الموضوع فقلت له مشيراً بأصبعي
نحو النافذة

_ماذا يوجد في الأسفل هنا يا فيرنر

-أنها ساحة المستشفى الخارجية

_هل بإمكاننا النزول هناك

-بالطبع ، اذا أحببت ذلك.

أومأت له بنعم وخرجت من الحمام مسرعاً
فتبعني.

عند نزولنا الى الساحة الخارجية كان القمر ضخماً
مكتملاً يطل علينا من الجانب وينير بعضاً من

عتمة السماء المتلحفة بالظلام ، أحسستُ بأنه
يزداد بريقاً وضياءاً كل ما نظرت إليه . ذكرني
ذلك بالغيمة السوداء فأزحت ناظري عنه بانزعاج
وقلق وسألت فيرنر .

_ كم الساعة الآن ؟

-الحادية عشر والرّبع .

_ اوه ، كم أكره هذا الوقت

-لماذا !

_ أنه يوحي بالغرابة ، فمذ كنتُ طفلاً كان يُخيل
الي أن أمراً سيئاً سيحدث في هذا التوقيت .

-لا يوجد أسوء من الاعتقاد الخاطئ يا سيدي .

كانت عبارته هذه الأكثر نفعاً منذ عرفته . لم
يختلف هدوء الساحة الخارجية للمستشفى كثيراً
عن الداخل فقد كانت ساحة واسعة تحيط بها
أشجار عالية ومقاعد خشبية متوزعة على طول
الساحة .

أشار لي فيرنر نحو المقعد وقال

-تفضل بالجلوس يا سيدي .

جلسنا وأنا أسرق نظرات سريعة من القمر الذي
بدا أشبه بالغيمة التي أراها في أحلامي. وكنوع
من الهرب من التفكير بما يخالجنني

سألت فيرنر

_أخبرني يا فيرنر كيف عرفت العالم الالمانى
فيرنر هايزنبرغ؟ فقد أدهشتني معرفتك به رغم
أنى اخترت الاسم بشكل عشوائى.

-جميع من درسوا فيزياء الكم سيعرفونه يا سيدي.

_بالفعل، أتعلم يا فيرنر لازالت فكرة وجودي في
المستشفى أمرٍ مبهمٍ بالنسبة لي.

-الإنسان ليس قادراً على معرفة كل شيء بدقة مئة
بالمئة.

جوابه الغريب أغاضني فأردفت

_لكنى أشعر أنى لا أنتمى الى هنا ، ليست
المستشفى بل الأشخاص فيها لا يبدوون كما أبدوا .

- لا أعلم ما الذي أستطيع فعله حيال ذلك يا سيدي ، ولكن بماذا تختلف عن الأشخاص هنا ،
_ أشعر بأني أعرف أكثر مما يعرفون .

- هل ستساعدهم معرفتك في شيء ؟ .

_ ستساعدهم معرفتهم ، أنا أتساءل يا فيرنر كيف سيكون شكل العالم اذا كان الناس مثل جميع من في المستشفى هنا !

- أنا غير قادر على التنبؤ بالمستقبل .

_ يمكننا التنبؤ بالمستقبل اذا عرفنا الحاضر ، فالمستقبل يترتب على جزئيات الحاضر .

- قد نتخيل شكل المستقبل ، لكن لا نستطيع التنبؤ بالمستقبل بدقة

_ اذاً لتخيل شكل المستقبل ، هل الذكاء الاصطناعي سيؤدي الى نهاية البشرية ؟ .

سكت لثوانٍ ثم قال

- لا ، وجود الذكاء الاصطناعي لن يؤدي الى نهاية البشرية ، يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي

للمساعدة في حل المشكلات وتسهيل الحياة اليومية.

تنهدت وسكت لثواني ناظراً نحو القمر .

فاردف فيرنر

-ولكن ما سبب سؤالك هذا ؟

_كُتِبَ على الإنسان أن يكون مثقلاً بالأسئلة فهي السبب في تطوره على مر العصور .

أردف فيرنر بعد سكوته لثوانٍ

-وكيف سيكون تخيلك للمستقبل يا سيدي .

_الموضوع بأكمله متعلق بالإنسان نفسه ، هو الذي سيحدد شكل المستقبل . هو الذي سينساق لأمر ويستسلم لأخرى وعلى مقدار قدرة الإنسان الذهنية والفكرية والجسدية سيتحدد شكل المستقبل . ربما لن يكون المستقبل بذلك السوء ، او ربما سيتغير كل شيء فتُلغى أمور، وتستحدث أمور ، ويتبع الإنسان كل ما يُستحدث من دون استيعاب ، قد يكون تأثير هذا الشيء أشبه بتأثير المخدر يا فيرنر .

قلتُ ذلك متنهداً ناظراً الى السماء باحثاً عن القمر الذي كانت عيني تهرب من النظر إليه . خيم السكوت لبرهة قبل أن تداعب الرياح أوراق الشجر فتهتز الأوراق مستمتعة الى أن يشتد عصف الرياح فتتكسر بسهولة الأوراق المهلهلة وتهوى على الأرض أما الأوراق المتشبثة بالغصن فتقاوم الرياح مهما كانت شدتها وكأنها تقاوم التغيير الذي يعصفُ بها .

بعد فترة من السكوت والتأمل نظرت نحو فيرنر وجدتهُ ينظر نحوي مبتسماً ابتسامته المعتادة.

فقال لي بعد ثوانٍ أربع كعادته

— أنها الساعة الثانية عشر بعد منتصف الليل ، بداية ليوم جديد كيف يمكنني مساعدتك اليوم يا سيدي ؟ .

لقاء في مقهى

في مقهى عتيق حيث امتزجت أصوات الناس مع بخار الشاي بالهال المتصاعد من كؤوسهم. جلس آدم في ركن المقهى منتشياً مستمتعاً بهذا الإيقاع البديع . وعلى مُحياه لاحت بوادر ابتسامة معبرة عن بهجته الداخلية لكنه سرعان ما أخفاها متظاهراً بالجمود واللامبالاة. كان لآدم جانب فني يخفيه عن المقربين فيرى في هذا المشهد لوحة فنية او مشهد من فيلم سينمائي . غريب هذا الكائن المسمى إنسان فقد يُخفي شخصيات عديدة خلف شخصيته وجوانب خفية لا تظهر الا بإزالة الغبار عنها وإعطائها المساحة والوقت المناسب للظهور. أعتاد آدم على الجلوس في ركن المقهى ليطالع الناس باهتمام بعينيه التي لم يحالفهما الحظ أن يكونا خلف عدسة كاميرا سينمائية. جلس أمامه رجلان قاربا الستين منهمكين برمي النرد وتحريك القطع الدائرية الملونة على طاولة خشبية ، تلك اللعبة التي اختلفت الآراء في نشأتها منهم من رجح أنها وجدت عند السومريين او الرومان لكنها

تطورت مع مرور الزمن حتى وصلت الى شكلها الحالي والتي لم تعد موجودة الا في مقاهي شعبية عتيقة. حوّل نظره الى أقصى اليسار كان هناك شاب منهمك بقراءة كتاب والى جانبه رجل ينفث دخان سيجارته وتسرق نظراته بعض من محتوى ذلك الكتاب. بقي آدم يرمي بنظراته يميناً ويساراً حتى استقرت عيناه على شيء صادم . في كرسي خشبي كبير جلس رجل واجم مطأطئاً رأسه ويعتلي وجهة سحابة من الحزن والندم دقق آدم النظر ولم يُزح عيناه إطلاقاً عن هذا الرجل . بعد برهة أحمر وجهه وتسارع نبضه بشكل لم يألفه سابقاً كانت نبضات قلبه أشبه بلكمات يتلقاها على صدره. كسر هذا الرجل جمود ولامبالاة آدم فنهض من مقعدة بفرع وقال بصوت يمتزج بالخوف :

_يا الهي كيف يحصل مثل هذا ؟ !

كان الرجل الجالس صورة طبق الأصل من آدم في الشكل والهيئة والملابس . أقترب منه بقدمين يرتجفان وبحذر شديد ، استغرقت هذه الخطوات القليلة وقتاً طويلاً حتى وجد آدم نفسه يقف أمام

شبيهه فقال له بصوت عالي محاولاً إخفاء رعبه من الموقف .

_ يا رجل لما أنت تشبهني الى هذه الدرجة؟!!

تبع الرجل الواجم مصدر الصوت فرفع رأسه الى الأعلى ونظر الى آدم وسرعان ما بدت على وجهه تعابير دهشة لكنها لم تكن الى درجة الفرع والخوف مثلما بدا على آدم. و بعد نظرات فاحصة لبعضهم البعض قال بابتسامة

-قد تحدث مثل هذه الأمور في الحياة.

أجابه آدم

_ كيف ، ولماذا نرتدي نفس الملابس؟.

-الملابس التي نرتديها يُصنع منها الآلاف ، أنها محض مصادفة يا سيد .

قال الرجل ذلك بهدوء وابتسامة طفيفة ثم عادت ملامح الحزن ترتسم على وجهه.

هدء انفعال آدم نسبياً وعاد نبضه مستقراً فجلس بجوار الرجل ومد يده نحوه

_ انا آدم سررت بمعرفتك يا سيد ؟
عادت للرجل الدهشة وارتسمت على وجهه بعض
من ملامح الخوف

-آدم؟! أسمك آدم!؟!

_ نعم ، هل هناك خطب ما ؟

-أنا كذلك أسمى آدم

انتاب الاثنتين حالة من الرعب والصدمة كيف
حصل هذا الشي ، نفس الاسم والشكل والملابس
هل يعقل أن تكون هذه صدفة ايضاً

قالها آدم لشبيهه الذي منحه كل تركيزه فقال
الأخير

-لا ليست صدفة ، بالتأكيد هناك شيئاً ما

_ شيء مثل ماذا ؟

-لا أعلم

كان آدم الشبيه يحاول التفكير ومناقشة الموضوع
لكن سرب من الأفكار تنتابه بين الحين والآخر
فترمي به الى حيث كان وتعيده حزيناً مهموماً.

أَرْمَاء

أدرك آدم ذلك فقال له

_لما أنت حزين هكذا؟ أهناك خطبٌ ما؟

نظر له لبرهة قبل أن يجيبه بصوت متلعثم

-لم أستطع التكلم مع أحد منذ أن حدث ذلك الشيء
، أنت أول من يسألني.

_ما الذي حدث ..؟

أخفض صوته قبل أن يجيب

-لم أنوي فعل ذلك الشيء أقسم لك ، زارني زميل
في العمل في شقتي وتناقشنا في أمر ما حتى احتدّ
النقاش فخرجت رصاصة من مسدسي وقتلته.

_ماذا قتلت شخصاً؟

-لم أقصد ذلك أقسم لك ، لقد خرجت الرصاصة
بالخطأ

_وماذا حصل بعد ذلك

-هربت من شقتي ركضتُ لمسافة بعيدة ، فوجدتُ
نفسي هنا .

_هل تأكدت أنه قد مات؟

-لا أعلم ، عندما أرتمي على الأرض وسالت
دماءه لم أستطع التفكير في شيء ولم أتحمّل ما
حدث فهربت.

_ هل تعتقد أن الهرب هنا سينقذك ؟

لم يجب بل عاد مطأطئاً رأسه وسالت من عينيه
الدموع بغزارة .

_ هل شاهدك أحد وأنت تهرب ؟

-كان كل شيء يبدو ضبابياً لكن أثناء نزولي من
سُلّم العمارة كان مالك العمارة ينظر لي بغضب
من حجرته ترامى لمسمعي صوته قال لي :

لماذا قتلته يا آدم ألم أنهاك عن الخطيئة ؟ !

أحسست عند سماع عباراته هذه بندم شديد ، لكني
لم أقصد قتله صدقني.

_ ماذا ؟ أنه يعرفك ويعرف ما فعلت ، وأنت هنا
تختبئ من الشرطة في مقهى شعبي ؟ .

ثم تراءت له فكرة قد غابت عنه

_ يا إلهي نحن متشابهين في كل شيء قد تأتي الشرطة لي أنا وتلقي القبض عليّ .

لم يقل الشبيه أي شيء، فقال له آدم بعصبية وتوتر

_ أسمع يا هذا يجب أن تسلم نفسك للشرطة حالاً وتعترف بجريمتك . أنا لن أتحمّل ذنبك الذي اقترفته.

-لماذا لن تتحمّل ذنبي ، ربما تكون أنت من قتله وتريد الصاق التهمة بي ، فأنا لم ولن تكن نيّتي قتل أحد.

_ أيها المخادع النصاب ترتكب جريمتك البشعة وتلصقها بشخص آخر .

-نحن شخص واحد يا آدم ، لسنا شخصين مختلفين.

_ لسنا كذلك ، أنا لا أعرف من تكون كم أتمنى أن لم أتكلّم معك .

-أن لم نتكلّم ربما ستلقي الشرطة القبض عليك ، ولم يسعك معرفة السبب.

_ كم أتمنى أن أصبح شخصاً آخرأ الآن

-أنا ايضاً كم أتمنى ذلك.

كان الاثنين يفكران في مخرج من هذه المشكلة بعد أن أدركا أنهما في مركب واحد. فكر آدم بالتخلص منه وإبلاغ الشرطة بمكانه قبل أن تقبض الشرطة عليه هو.

فقال بعصبية

_ أسمع يا هذا سأتصل بالشرطة وأبلغهم بمكانك وبما فعلت.

مد آدم يده في جيبه لإخراج الهاتف فأمسك الشبيه بيده وقال بعصبية

-لماذا أنت بهذا البرود واللامبالاة ، ألم تتحمل نتيجة ما فعلت .

صرخ آدم في وجهه

_ أنا لم أفعل شيء ، أنت من فعل ذلك.

نظر جميع من في المقهى إليهم مستغربين ما دفع الاثنين الى إخفاض صوتهم فهمس الشبيه لآدم

-حتى الناس حولنا في المقهى يعتقدون أننا توأم ،
وأنت لا تصدق أننا ذات الشخص وأن بلغت
الشرطة سيُقبض عليك ايضاً .

سكت آدم لبرهة وأنغمس بالتفكير وبعد أن هدد
انفعاله وأدرك ما يجب عليه فعله قال لشبيهه

_ ما الذي تريده مني الآن ؟

-مساعدتي في حل هذه المشكلة .

_حسناً ، علينا أولاً أن نذهب الى الشقة بأسرع
وقت ونتفحص الجثة ربما لم يمّت بعد .

-وإذا كان ميتاً ؟

_سنخرج جثته من الشقة ونوارئها في مكان بعيد
.

-ومالك العمارة ؟ لقد رأى كل شيء

_لا تقلق لدي الحل ، المهم الآن الإسراع بالذهاب
الى الشقة قبل قدوم أحد .

عند وصولهما العمارة ساد الظلام والسكون الشارع فدخلوا العمارة بحذر وهدوء خوفاً من أن يراهما أحد وبسرعة صعد الاثنان درجات السلم فوصلا الى حيث المُبتغى الى الشقة التي أصبحت بمثابة كابوس لكليهما فتح آدم الشبيه الباب بمفتاح كان يحمله في جيبه وأستحكم مسك مقبض الباب بيد مرتجفة ، ففتح باب الشقة و دخل الاثنان بخطوات حذره فقال آدم بصوت منخفض

_ أين مكان الجثة ؟

-هناك عند مدخل غرفة الضيوف

سار الشبيه قاصداً غرفة الضيوف فتبعه آدم . وما أن دخلا الغرفة حتى وجدا رجلاً مرمي على الأرض ودماءه تملأ المكان وعلى جسده بدت آثار طعنات بالسكين فقال آدم مستغرباً

_ ألم تقل أن رصاصة خرجت من مسدسك فأودته قتيلاً؟ ما هذه الطعنات؟!!

-لا أعلم لست أنا من فعل هذا ، والآن ما الذي سنفعله

_أسحبه الى الخارج

أنحنى آدم الشبيه وأمسك الجثة من الأقدام قاصداً سحبها الى الخارج . نظر آدم حوله فوجد في الغرفة عامود من الفخار للزينة فأمسك به وضرب شبيهه بقوة على رأسه فسقط الشبيه فوق الجثة استمرّ آدم بتكرار الضربات على رأس الشبيه وبقوة حتى سالت دمائه فوق دماء الجثة . هكذا أحس آدم أنه تخلص من حمل كبير ومشكلة لم يستطع حلها الا بهذه الطريقة ، مشكلة كادت تُنهي حياته. تحرك آدم بسرعة نحو باب الشقة تاركاً أضواء الشقة مفتوحة ، أغلق باب الشقة بهدوء وهبط بسرعة من السلم ، كان يحرص على النظر أمامه فقط والتحرك بسرعة الا أن رجلاً ظل من حجرته المضيئة كان ينظر إليه بعين مشفقة وغازبية.

_أهو مالك العمارة الذي تحدث عنه ؟ ما أشبه ما فعلته وما فعله شبيهي كل شيء قاله حدث معي ايضاً.

كانت هذه الأفكار التي راودت آدم أثناء رحلة هربه من العمارة وحتى وصوله البيت الا أنه أخفاها بالنسيان والتجاهل.

في الصباح جلس آدم كعادته في ركن المقهى وأمامه كأس الشاي بالهال الذي أدمن مذاقه ورائحته العبقة. مستمتعاً ومبتهجاً مثلما كان دوماً لم يخفي في هذه الأثناء ابتسامته التي ارتسمت على مٌحياه بل تركها تعبر عن بهجته الداخلية . إيقاع المقهى في الصباح جعله يعود الى هوايته المفضلة النظر الى الناس بعيون فنان . فرمى بنظره يميناً ويساراً حتى استقرت عيناه على شيء صادم.

رجل صوره طبق الأصل من آدم يجلس في كرسي خشبي كبير مطأطئاً رأسه ويعتلي وجهه سحابة من الحزن والندم.

المحتويات

٧	القصر
١٥	مُحكَم القِيود
٢٧	خليفة الله
٢٩	رحلة
٤١	بيت الحياة
٤٥	الطوطم
٥٧	الإنسان الأخير
٧١	لقاء في مقهى

إِنْتَهَى